



الدرس البلاغي العربي ومقولات التداولية الغربية

مقاربة إنسانية بين صيغ العقود والفعل الإنجازي عند "سورل"

The arab rhetorical lesson and western pragmatics statements
A humanistic approach between the forms of contracts and the act
of speech according to 'Searl'

مسعود خليل*

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي، تبسة-الجزائر

khalil.messaoud@univ-tebessa.dz

تاريخ النشر:

2025-01-31

تاريخ القبول:

2025-01-28

تاريخ الإرسال:

2024-08-20

ملخص: الجامع الإنساني هو الضامن الأكبر لالتقاء البشر مهما اختلفت الأديان والمذاهب واللغات ومهما تباعدت الأزمان والديار؛ لأن إنسانية الإنسان تفرض عليه ألوانا من التفكير والتعبير -في سبيل درء الضرر وجلب النفع- لتستقيم له حركة الحياة.

ولعل أبرز من مثل هذا الالتقاء الإنساني الفلاسفة والمفكرون وعلماء اللغة، فالبلاغيون العرب الأوائل فكروا هذا التفكير الإنساني وعبروا عنه من خلال درسه التخططات الجارية بين الناس، وجعلوا الكلام قسمين، خبرا وإنشاء، ثم فرّعوا الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي، يضم هذا الإنشاء بفرعيه الأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء، ويضم صيغ المدح والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب، والرجاء. ثم نظروا في لون من ألوان هذه التعابير نشأ عن فكر نفعي، تُقضى به الحاجات وتُعقد به الصفقات وتُبرم به العقود، سموا هذا اللون التعبيري **صيغ العقود**، وهي في حقيقتها جمل تلفظ في حين العقد، وينشأ عنها أحكام مرتبطة بذلك الحين لا بغيره، (أي مرتبطة بالتلفظ). وعدّ الدرس البلاغي هذه الألفاظ من قبيل الإنشاء مع أن صورتها خبر، أي أنهم درسوها دراسة آنية، بحسب ما يترتب عنها من تغيير في سلوك المتعاقدين وحياتهم.

* المؤلف المرسل.

وشبيه بهذا الطرح البلاغي ما قدمه فلاسفة أوكسفورد في المنجز التداولي الغربي الحديث، وما جاء به 'أوستين' (J. Austin) (1911-1960) من إعادة صياغة لمفهوم الإنشاء، وما استكماله تلميذه 'سورل' (J. Searle) (1932-معاصر) في الأفعال الإنجازية، وتقسيمه الخماسي لها من منطلق واحد، هو مصاحبة هذه الأقوال بالأفعال، أي أن القول (الفعل الإنشائي) يكون مساوياً للفعل (أي السلوك الإنساني)، أي أن القول هو الفعل - على حد تعبيره - .

تحاول ورقة البحث هذه النظر إلى هذا التقارب في التفكير وفي التعبير بين مقولات البلاغة العربية في حديثها عن صيغ العقود، وما قدمته اللسانيات التداولية في حديثها عن الفعل الإنجازي، وهو تقارب إنساني خالص.

كلمات مفتاحية: صيغ العقود؛ التلطف؛ الفعل الإنجازي.

Abstract: Common humanity is the greatest guarantor of people meeting, no matter how different religions, sects and languages are, and no matter how far apart the times and homes are; Because human humanity imposes on him ways of thinking and expression - in order to remove harm and bring benefit - so that life can be straightened for him.

Perhaps the most prominent of such human encounters were philosophers, thinkers, and linguists. The first Arab rhetoricians thought about this human thinking and expressed it through their study of the ongoing conversations between people. And they make the speech tow part, constative and performative , this one (perform) content – in considering its two parts- order, interrogation, wish, exclamation, appeal, pray and it includes the formulas of contracts. Then they looked at one of the types of these expressions that arose from a pragmatic thought, with which needs are met, deals and contracts are concluded. Those formulas are sentences but they was describing with pronunciations because its pronunciation is being during the contract, so it creates decisions according to the time nothing else, (related to pronunciation). The rhetorical lesson counted these expressions as performative, although it is constative, meaning that they analyze it in an instantaneous study, according to the consequent change in the behavior and lives of the contracting parties.

This rhetorical proposition is similar to what the Oxford philosophers presented in the modern Western deliberative achievement, and what J. Austin (1911-1960) brought about reformulating the concept of performance, and what his student J. Searle (1932- Contemporary) completed in the perform verbs , and his five-fold division of them from one point of view, is to accompany these words with actions, meaning that the saying (constructive act) is equal to the action (human behavior), meaning that the saying is the perform - as he put it.-

This research paper attempts to look at this convergence in thinking and expression between the Arabic rhetoric categories in their talk about contract terms, and what pragmatic linguistics presented in their talk about the performing act, which is a pure human rapprochement.

Keywords: contract terms; enunciation; performing verbs.

1. تمهيد: تقارب تفكير التداوليين الغربيين من التفكير البلاغي العربي تقاربا حملت عليه النفس الإنسانية في رغبتها ورهبتها؛ فهي ترغب في الاستكمال لنقصها والاستقدار لضعفها، وهي في الآن ذاته ترهب الضرر وتتقي المحاذير، كل ذلك في سبيل استبقاء حياة الإنسان ودفع العاديات عنه.

وقد عبرت كل من التداولية والبلاغة عن هذا التفكير، واتخذت له صنوفا من الأقوال لعل من أبرزها عند البلاغيين العرب ما عُرف بـ **صيغ العقود**، وعند التداوليين الغربيين ما عُرف بـ **الفعل الإنجازي**، فكلاهما يروم تحقيق الفائدة والنفع من أقرب طريق وأسهلها وآنسها.

2. صيغ العقود في البلاغة العربية: قسمت البلاغة العربية الكلام إلى خبر وإنشاء، وجعلت الخبر "الكلام المحتمل للصدق والكذب، أو التصديق والتكذيب"¹، أي أنها حكمت على الخبر بمعياري التصديق والتكذيب، فيجوز في الخبر أن يقال لصاحبه إنك صادق أو إنك كاذب، سواء كان الخبر متعلقا بالمُضَيِّ أو الحال أو الاستقبال، قال ابن فارس (329-395هـ) "وأهل النظر يقولون الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب إما في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم"²، وجعلت الإنشاء ما لا يحتمل تصديقا ولا تكديبا³، وقسم بعضهم الإنشاء إلى طلبی وغير طلبی كالخطيب القزويني (665-739هـ)⁴، واكتفى بعضهم كأبي بكر السكاكي (555-626هـ) بالطلبی، فجعل الكلام خبرا وطلبا، كأنه ضم الإنشاء غير الطلبی إلى الخبر، وأمرة ذلك أنه لم يذكر في أصناف الإنشاء التعجب ولا الرجاء ولا المدح والذم ولا نحو ذلك مما عده الدارسون إنشاء غير طلبی، فقال "والسابق في الاعتبار في كلام العرب

شينان، الخبر والطلب المنحصر بحكم الاستقراء في الأبواب الخمسة التي يأتيك ذكرها⁵ ثم ذكر كل أحد يتمنى، ويستفهم، ويأمر، وينهى، وينادي⁶، فتراه جعل الإنشاء الطلبي خمسة مسارب، ومن الدارسين المحدثين من توسع وجعلها تسعة بأن زاد على الخمسة الرجاء والعرض والتحضيض والدعاء⁷.

وقد أفرد علماء البلاغة أحاديث في شأن الإنشاء، وفصلوا القول فيه. وقد عرفه القزويني "الإنشاء ضربان: طلب وغير طلب. والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب؛ لامتناع تحصيل الحاصل"⁸.

"أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله أساليب وصيغ كثيرة"⁹ وذكر صيغ المدح والذم، التعجب، القسم، الرجاء، وصيغ العقود¹⁰، ومنهم من أضاف إلى هذه الأساليب والصيغ غير الطلبية أفعال المقاربة، ورُبَّ، وكَم الخبرية¹¹.

والمتتبع للمصنفات البلاغية يجد أن البلاغيين القدامى أولوا العناية للإنشاء الطلبي، أما غير الطلبي فلم يذكروه إلا لماماً، ولعل سبب ذلك أنه قسم قولي لا تتعلق به أغراض بلاغية كثيرة، ولأنه في الغالب أخبار نقلت إلى الإنشاء¹². لذلك نقرأ للقزويني بعد تصنيفه لقسمي الكلام: الخبر والإنشاء صنفاً ثالثاً سماه الخبر يقع موقع الإنشاء، فقال: "ثم الخبر يقع موقع الإنشاء، ... والدعاء بصيغة الماضي من البليغ يحتمل الوجهين، أو للاحتراز عن صورة الأمر، كقول العبد للمولى إذا حول عنه وجهه: ينظر المولى إليّ ساعة، أو لحمل المخاطب على المطلوب، بأن يكون المخاطب ممن لا يحب أن يُكذَّب الطالب، أو لنحو ذاك"¹³، وكل هذه الأساليب ظاهرها خبر، لكن مضمونها يؤدي ما يؤديه الإنشاء، فالأمر خرج فيها إلى أغراض بلاغية كالإدعاء والالتماس.

والذي يعني في هذا المقام لون واحد من هذه الأساليب والصيغ غير الطلبية، وهو صيغ العقود.

وصيغ العقود تعني كل صيغة كلامية تُعقد بها صفقة أو يُبرم بها عقد، كعقود البيع والشراء والكرء والهبة والرهن وعقود الزواج والطلاق والرجعة والعِناق، ومثلها عقود المبايعة. ونلاحظ أن من الدارسين من فرق بين العقد والإيقاع، فحصر العقد فيما تشارك فيه طرفان، والإيقاع ما كان من واحد، "لكن الاختلاف يكون في أن الإيقاع يتم بفاعل واحد، أما العقد فلا يتم إلا بفاعلين وينحل إلى إيجاب وقبول"¹⁴، فما يتم به الزواج عقد لاشتراط طرفي العقد إيجابا وقبولا، وما يتم به الطلاق إيقاع لأنه يقع بالإرادة المنفردة.

والفرق بين الإنشاء الطلبي وهذا الصنف الثالث الذي ذكره القزويني (الخبر يقع موقع الإنشاء) أن الأول (أي الإنشاء الطلبي) هو "ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب"¹⁵، أما الثاني (الإنشاء في صورة خبر) هو ما يتحقق مطلوبة في وقت الطلب، وهو ما عبر عنه عبد العزيز عتيق (1906-1976) باقتران الوجودين، أي أن وجود المطلوب يتحقق مع وجود الطلب، قال "... أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما يقترن فيه الوجودان، بمعنى أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه، أي في الوقت الذي يتم اللفظ (التلفظ) به، فإذا قال شخص لآخر زوجتك ابنتي، فقال الآخر: قبلت هذا الزواج فإن معنى الزواج أو وجوده يتحقق في وقت التلفظ بكلمة القبول"¹⁶. إن هذا الإنشاء الذي يأتي في صورة خبر يظهر في صنوف كلامية كثيرة من أبرزها صيغ العقود فإنها تُلَفَّظ في صيغة الماضي غالبا، وظاهر الماضي خبر لكنه اكتسب إنشائيته من تحقق المطلوب من الكلام، بل إن هذا التحقق يكون أظهر في حياة الفرد وأشيع في سلوك الجماعة؛ لأنه لا يكتفي بمجرد تحقق مأمور به أو منهي عنه أو مستفهم عنه، بل إنه يغير واقعا اجتماعيا، قد يتجاوز حياة الإنسان

الحاضرة إلى مستقبل بعيد، فإن عبارات البيع والشراء تغير واقعا بأن تنتقل الملكية من مالك إلى آخر وتُبدل المال من يد إلى يد، ومثلها الهبة والرهن. وأما عقود الزواج والطلاق والرجعة فإنها تغير حياة أسر وما ينجر عنها من نسب ومصاهرة وتوالد، وأما عقد العتاق فإنه يغير واقع المعتوق من الرق والعبودية إلى السيادة والحرية وما يتفرع عن ذلك من أحكام فقهية كالملكية والميراث ونحوهما، هذا التغيير الذي حصل في حياة المعتوق يقع لحظة التلطف بعقد العتق "أعتقتك أو أنت حر" أو ما يقوم مقامهما، فالحرية نفسها تحققت في زمن النطق بالقول الذي يترجم عن هذا العقد.

ومن أبرز الأمثلة في هذا الباب عبارات المعاهدات وصيغ المبيعات، التي تكون في الحرب والسلام ونحوهما، وقرأنا في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته - رضي الله عنهم - ما وقع من مبايعة فيما سمي بصلح الحديبية، فقد عزموا على دخول مكة معتمرين فمُنِعُوا، فأرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سفيراً إلى قريش يتفاوض معهم في شأن العمرة، "فبلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن المسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتِلَ" ¹⁷ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لا نبرح حتى نناجز القوم، فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس إلى المبايعة" ¹⁸، فبايع الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبايع رسول الله لعثمان، "فضرب بإحدى يديه على الأخرى" ¹⁹، وفي رواية "أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيد نفسه وقال: هذه عن عثمان" ²⁰، وأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه البيعة تحت شجرة، وعُرفت ببيعة الرضوان، وورد ذكرها في التنزيل ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح/ 18) وقوله "هذه عن عثمان" هي صيغة عقد هذه المبايعة، وبمجرد التلطف بهذه الجملة صار عثمان من المبايعين، فأنجزت الجملة المبايعة وغيّرت واقع المسلمين تغييراً من حال مسالمين يقصدون دخول مكة

والطواف بالبيت، إلى حال متحفزين أقسموا ألا يرجعوا إلا ومعهم صاحبهم عثمان - رضي الله عنه-، ولو حصل مكروه لكان اللقاء بين المسلمين والمشركين شديدا ولحصلت المناجزة، فصيغة عقد هذه المبايعة تلفظ قولِي، لكنه في الآن ذاته فعل بل حياة جديدة لا ينهض بعثها إلا تلك الثلة المباركة.

لكن ثمة عقدا أخطر من تلك العقود التي شرحنا آنفا، لم يكد يلتفت إليه الدرس القديم ولا الحديث في معرض ذكره لصيغ العقود، وهو عقد الدخول في الإسلام*، فإن الدخول في ديننا يستلزم نية يصحبها قول، وهو التلفظ بالشهادتين أو ما يقوم مقام ذلك من الإعلان عن الدخول في الإسلام (والدخول في الإسلام عقد بين العبد وربّه، لكنه من وجهة المجتمع الإسلامي يتطلب إعلانا يوجه سلوك المجتمع تجاه هذا الفرد). إن هذا الإعلان القولي يغير حياة الفرد من الكفر إلى الإسلام، ويترتب عنه تغيير في واقعه الدنيوي والأخروي، أما في الدنيا فإنه يُزوج من المسلمة ويرث ويُورث وينخرط في الحياة الإسلامية الجديدة، وكل ذلك بمجرد التلفظ بهذا الإعلان في دخول الإسلام، أي أن مطلوبه وهو الدخول في الإسلام تحقق بمجرد التلفظ بالشهادتين أو ما يقوم مقامهما، فاقترن وجود المطلوب مع التلفظ بالطلب، وأما في الآخرة فتبدأ رحلته لحظة وفاته، فإذا مات فإنه يُصلى عليه ويُدفن في مقابر المسلمين، فإذا تقبله الله بقبول حسن فتنتظره جنة عرضها السموات والأرض، كل ذلك تحقق مع نية صادقة صحبتها تلفظ يُترجم عنها.

إن هذه التلفظات العقدية، من عقود البيع والشراء والهبة والرهن والزواج والطلاق والرجعة والعناق، والمبايعة، وتلفظات الدخول في الدين أو الخروج منه، جميعها اقترن وجودها بوجود المطلوب منها، أي تحقق مُؤدّي العقد بمجرد التلفظ بصيغته، لذلك عُدت الأحكام المتفرعة عنها أحكاما شخصية تخص صاحب العقد أو المتعاقدين، دون سواهم، فهي ملزمة للمتعاقدين، ويتحمل وحده تبعاتها؛ لأنها تلفظات ينبغي أن تُحمل

على محمل الجد بعيدا عن كل ألوان الهزل²¹. وهذا ما تحدثت فيه التداولية الغربية الحديثة حين تعرضت للقول الذي يصحبه الفعل، أو بتعبير أدق القول الذي يعني الفعل، وسمت صنوف القول على هذه الشاكلة **الفعل الإنجازي**. وكما جعلت البلاغة العربية صيغ العقود ضمن الأسلوب الإنشائي، فإن التداولية الغربية جعلت هذه العقود ضمن الفعل الإنجازي كما عبر عن ذلك أوستين (J. Austin) (1911-1960) "ولقد اشتق لفظ الإنشاء من الفعل أنشأ (perform) وهو فعل يستخدم في اللغة الإنجليزية عادة مع الاسم الحدث (action) ويدل على أن إحداث التلفظ هو إنجاز لفعل، وإنشاء لحدث. ... فمثلا كثير من العبارات الإنشائية تدخل في باب العقود، كأراهن"²². واتفاق البحث البلاغي العربي مع البحث التداولي الغربي إنما هو اتفاق إنساني خالص، تفرع عن لطيفة الإنسان، حين أخذ يصونها ويحميها ويدفع عنها بكل ما أوتي من بلاغة اللسان وحسن المعاملة. فإذا اختلفت الأديان والتوجهات العقدية، أو اختلفت المذاهب الفكرية والألسن، أو اختلفت الأمم والبلدان والعصبيات، فإن الإنسانية تظل واحدة، تجمع الشعوب والقبائل، فالكمل يعمل على إسعاد هذه النفس الإنسانية وإعزازها وصيانتها، وتمكينها من أسباب البقاء والنماء.

3. الفعل الإنجازي في التداولية الغربية: لئن كانت طروحات التداولية الغربية قد تراكمت من خلال مقولات كثير من المفكرين واللسانيين الغربيين، فإنها تمظهرت - خاصة في جانبها الإنجازي - عند اثنين من فلاسفة أكسفورد، وهما ج. أوستين وج. سورل (J. Searle) (1932- معاصر).

وقد حال الموت المبكر لأوستين دون إتمام مشروعه التداولي، الذي قام على نقد تصنيفات الفلسفة الإغريقية والفلسفة السلوكية، أي نقد وجهة النظر التي ترى أن غاية الدرس اللغوي هي الوصف، ومن ثم فقد حكمت هاتان الفلسفتان على الحدث الكلامي من خلال معياري التصديق والتكذيب²³، فأنشأ أوستين تفكيراً جديداً يقوم على

الفعل الإنشائي من خلال ما يؤدي هذا الفعل من دلالة وما يحدثه من تأثير؛ لأن كثيرا من الأفعال -في نظره- لا تخضع لذنيك المعيارين، فقد يكون ظاهر الجملة خبريا، لكنه إنشائي، بل إنجازي يتحقق معه الفعل زمن التلفظ به. ولقد تفتن الباحثون العرب والغربيون إلى هذا الصنف من الأفعال حين جعلوا منطلق تفكيرهم دلالة الفعل وتأثيره لا نمطه الذي حُدّد صدقه أو كذبه حسب مطابقته للواقع أو عدم مطابقته، وهذا ما خلص إليه الباحث محمود أحمد نحلة (1948- معاصر) من "أن منطلق التفكير في هذه النظرية عند أوستين وعند علمائنا واحد، فهم لم يقصروا الكلام -كما فعل فلاسفة الوضعية المنطقية- على ما له واقع إذا طابقه كان صادقا، وإذا لم يطابقه كان كاذبا، بل تجاوزوا ذلك إلى ما سعى أوستين جاهدا لإثباته وعدّه فلاسفة اللغة الغربيون إنجازا كبيرا، وهو أن من الكلام ما لا واقع له يطابقه أو لا يطابقه، ولا يوصف بصدق ولا كذب، ووصلوا إلى الفكرة المحورية التي كانت المنطلق إلى وضع هذه النظرية، وهي أن من الكلام ما يكون فعلا أو إيقاعا لفعل بلفظ يقارنه في الوجود"²⁴.

ثم فرع أوستين تفريعه الخماسي للأفعال: "الحكميات، التنفيذيات، الوعديات، السلوكيات والعرضيات"²⁵، وأيقن التلميذ أن أستاذه لم يكن راضيا كل الرضى عن هذا التقسيم كما قال هو نفسه "... وإن كنت غير مسرور ولا راضٍ عن أية واحدة منها"²⁶، ومات أوستين وفي نفسه شيء من أفعال الكلام، فأتم سورل ما ابتدأه أستاذه، وقدم تصنيفا للأفعال أفاد فيه من جهود أوستين، كما قسم الأفعال الإنجازية خمسة زمر على غرار تقسيم أستاذه أوستين.

رأى سورل أن الأفعال تنقسم إلى مباشر وغير مباشر، أما الفعل المباشر فيطبعه المعنى الحرفي الذي يفهم من ظاهر اللفظ "وفيه فعل القول وفعل الإسناد وفعل الإنشاء وفعل التأثير"²⁷، أي أن دلالاته لا تتجاوز الاستلزام العرفي. وهذا ضرب من الأفعال يصاحب جزءا من تخاطباتنا جميعها، ففعل القول هو التلفظ بالكلمات والجمل، وفعل

الإسناد هو الإحالة على الأنا والأنتم، وفعل الإنشاء هو القصد المعبر عنه في القول، كالنصيحة والتحذير والأمر²⁸، وفعل التأثير يخص إحداث تأثير في المخاطب بالقول كالطمأنة والتخويف²⁹. وأما الفعل غير المباشر فهو الفعل الحامل للدلالة التواصلية، أي أن دلالاته لا تظهر على السطح، إنما هي دلالة تُستوحى من خلال الاستلزام الحواري، وإن بدا أن هذا الضرب من الأفعال (غير المباشرة)، قليل في أحاديثنا، فإنه متلبس بها، يُقطن إليه بتكنه الخطاب وتتبع أسرار الأقوال؛ لأن الإنسان فُطر على الإيحاء والتلميح والتكتم والستر والإضمار، بل إن هذا الإضمار يُبلغ ما لا يبلغه التصريح المباشر.

ثم اشترط سورل في التخاطبات الناجحة الإخلاص والصراحة، ويعني ذلك حيازة المتكلم على نية الإبلاغ والتأثير، يظهر من خلال أقواله، ومن خلال إبحاره، وقبل ذلك وأثناءه وبعده يظهر من خلال سلوكه وعلاقته بالمخاطب أو جمهور المخاطبين. ويشترط -كذلك- فهم المستمع وإدراكه لقصد المنطوق الذي تلفظ به المتكلم، وهذا الفهم والإدراك أحدثه المتكلم بإخلاصه وقدرته البيانية، قال سورل: "... فقصد الاتصال هو القصد بأن أحدث في المستمع معرفة المعنى لديّ عن طريق حمله على إدراك قصدي لأن أحدث فيه هذه المعرفة"³⁰.

ثم تحدث سورل في:

-فعل القول: والمقصود به الأصوات التي ننطقها شفويا أو نكتبها وتكون تركيبا قوليا يحمل معنى معقولا.

-الفعل المتضمن في القول: وهو المضمون الذي يحمله القول في أحاديثنا وكتاباتنا، وهو الفعل الإنجازي، "وكلما تحدث بعضنا مع بعض أو كتب بعضنا إلى بعض، فإننا ننجز أفعالا متضمنة في القول"³¹.

-كما فرق بين القوة المتضمنة في القول والمحتوى القضوي، فالمحتوى القضوي هو المعنى الحرفي للقول، أما القوة الإنجازية فهي الصيغ التي توجه القول³²، فقولنا أحسن إلى جارك، قوتها الإنجازية الأمر، ومحتواها القضوي الإحسان إلى الجار. وخلص سورل إلى تجديد في التقسيم الذي قدمه أستاذه، وقدم تقسيما خماسيا جديدا للأفعال.

خماسية الأفعال عند سورل³³:

التقريرات (assertive) هي تصوير لحال الواقع منطلقة معتقدات المتكلم، ويكون تمثيلا للواقع.

التوجيهيات (directive) هي أفعال يحاول من خلالها المتكلم -انطلاقا من رغبته- توجيه المستمع إلى سلوك ما، ولا تخضع هذه الأفعال للصدق أو الكذب، إنما يتلقاها المستمع بالقبول أو الرفض.

الإلزاميات (commissive) وهي تعهد المتكلم بأمر ما، يُلزم به نفسه، كالوعد والنذر والتهديد، ولا تخضع هي الأخرى للصدق أو الكذب، ولكنها تخضع للوفاء أو النكث.

التعبيريات (expressive) هي أفعال يعبر بها المتكلم عن حاله النفسية، بشرط أن يكون صادقا، كالتهنئة والشكر والاعتذار.

التصريحيات (declaration) هي جمل هدفها تغيير العالم، مثل أصرح وأعلن. والناظر في هذه الأفعال يجد ثلاث زمر منها إنجازية، وهي الإلزاميات والتعبيريات والتصريحيات³⁴، فالذي يعد ويهب، والذي يهنئ ويشكر والذي يصرح ويعلن إنما يتلفظ بأفعال خاصة به هو يتكفل بأداء محمولها، ففي اللحظة التي تلفظ فيها بفعل الوعد فإنه قد تحقق الوعد، وفي اللحظة التي تلفظ فيها بفعل الشكر فإن الشكر قد

تحقق، وكذلك عندما تلفظ بكلمة التصريح فقد حصل التصريح، فالإنجاز صاحب الفعل ولم يتخلف أحدهما عن الآخر.

ورغم هذا الجهد الكبير الذي قدمه سورل في شأن الفعل الإنجازي فإن تصنيفه لم يسلم من النقد، حيث رأى بعض الباحثين أن الإنجاز لا يصحب كل الأفعال التي وردت في هذه الخماسية، فقد رأى فاينريش Harald Weinrich (1927-2022) "بأن الإلزاميات لا تكون نمطا عالميا لأفعال اللغة، بل يجب اعتبارها ردود فعل تجاه أوامر"³⁵. واقترح فرانسوا ريكاناتي François Recanati (1952- معاصر) تصنيفا يقوم على الأفعال التمثيلية وغير التمثيلية، فالأفعال التمثيلية (التي سماها سورل التعبيرات) تنفرع إلى إنجازية وإدراكية، وفرع الإنجازية إلى إدلائية ووعدية وإلزامية³⁶، فاعتراضه منصب على الأفعال الإدراكية، التي لا يرى فيها إنجازا بل يراها تقريراً لمُدركات الواقع.

وترى أن معظم هذه الأفعال جاء بصيغة المضارع، وقد يرد بصيغة الماضي المبني للفاعل أو المفعول، فليس شرط هذه الأفعال أن تكون أمراً، بل ليس شرطها أن تكون فعلاً، إنما الأهم أن يكون مؤدّى الجملة فعلاً، أي أن الضابط في تحديد الإنجاز هو الدلالة لا النحو فحسب³⁷. كالأفعال التي شاعت في دور القضاء التي كثر فيها المتخاصمون، ووُكل بهذه الدور قضاة يقضون ومحامون يدافعون، ففي مفتتح كل جلسة قضاء يسمع الحاضرون القاضي أو من يقوم مقامه يقول: "قُتحت الجلسة"، فإذا ختمت تلك الجلسة سمعوا: "رُفعت الجلسة"، فالجملة الأولى يتحقق مع التلفظ بها بداية التقاضي وإدلاء الخصوم وإظهار البيّنات ومدافعة المحامين، فإذا تُلْفِظَ بالجملة الثانية "رُفعت الجلسة" سكت المحامون وتفرق الحاضرون، فكلتا الجملتين خبري في ظاهره، جاء على صيغة الماضي المبني للمفعول، لكنه يحمل مضمونا إنشائيا إنجازيا لأن مؤدّى مطلوب الجملة قد تتحقق في لحظة التلفظ بها، أي أن واقع ذلك المجتمع الصغير داخل دار

القضاء يسلك مسلكا جديدا يغير واقعه لحظة التلفظ بالجملة³⁸. فإذا فات أو أن التلفظ صارت تلك الجمل ملفوظات، ودخلت حيز الماضي، واستحال أسلوبها من إنشائي إنجازي، إلى سرد وحكاية، فقضية الإنجاز إذا مرتبطة بالتلفظ، أي بالآنية ومرتبطة بسياق الحال العامة التي تفسره، فلو قال البائع للذي اشترى منه: بعث لك المسكن قبل شهرين، فإن الجملة تتسرب في منسرب الحكاية، مع أن هذه الجملة ذاتها في لحظة إبرام عقد البيع كانت إنجازية، فالتلفظ إنجاز والملفوظ حكاية، وهذا ما حرص الفرنسي إميل بنفنيست Emile Benveniste (1902-1976) على بيانه من خلال ثنائية "التلفظ-الملفوظ"، فإذا كان ما يؤول إليه التلفظ (أي الملفوظ) يتسم في أسلوبه بالهدوء والحكاية، وقد يكون خطابا شفويا أو نصا مكتوبا، فإن التلفظ مرتبط بالآنية والشفوية، (إلا في حالات نادرة يتعذر فيها التكلم)، ومرتبطة كذلك بالتحفز والجدية لأن المتلفظ يحاور وينجز ويعمل على تغيير حركة الحياة، فهو تكلم دينامي جاد أبعد ما يكون عن أساليب المزاح والهزل، وقد أكد الفيلسوف أوستين -كما ذكرنا آنفا- أن أهم صيغ الإنشاء كالوعد يطبعها الأسلوب الجاد، ولا يليق في هذه الصيغ المزح أو الهزل، لأن الوعد متعلق بالمتلقي، الذي يُعامل المتكلم حسب كلامه، وقد يصدر عنه رد فعل تجاه تلك الوعود، فإذا خالطها المزح أو الهزل اضطربت معها النوايا والمشاعر، وقد يصحب هذا الاضطراب سلوك يزري بالحياة الاجتماعية عامة، إلا أن إزراء بالحياة الاجتماعية الخاصة (أي الأسرية) أشدّ، فقد يهتز بناء الأسرة ويتضعضع منها ركنها الأساس، وهو الثقة، بسبب كلمة هازلة أو استخفاف في إطلاق حكم على سبيل المزاح، لذلك حذر أوستين من هذا الصنيع لأنه يؤدي إنسانية الإنسان. وقبل أوستين بقرون نبذ ديننا الإسلام توجيهًا سامقًا في سبيل صيانة النفس الإنسانية وحفظ كرامتها، ولأجل ضمان الحياة الزوجية كريمةً عزيزةً، لا تُؤدّى فيها كرامة، ولا يُخدش فيها حياء، ولا تُهان فيها نفس أعزّها الله. وذلك حين أعلن نبينا الكريم -صلى الله عليه وسلم- أن مقول الهزل

يقع موقع الجد في عقود الأسرة (الزواج والطلاق والرجعة) فقال "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة"³⁹. إن الهزل إذا تسرب إلى عقود الزواج أو الطلاق أو الرجعة استئبحت الحُرّمات وانتُهكت الأعراض، وتَعكّر صفو الأنساب. إنها جمل تُقام بها الحياة، ولا يليق فيها إلا النية الصادقة والكلمة الجادة والسلوك القويم. وإنسانية الإنسان - قبل ذلك كله - تأبى إلا أن تُصان، فلا تقبل من يتلاعب بها أو يهزل في مواضع الجد. وتلك فطرة الله التي فطر الناس عليها. لذلك التقى الدرس البلاغي العربي والدرس التداولي الغربي، لأن كلاً منهما يفكر فيما يصلح هذه النفس، ويعبر عن ذلك الإصلاح بعبارات وجمل تُرضي النفس السوية، وتسمو بها إلى مقامات النبل والخير والمروءة.

4. المراجع

الكتب بالعربية:

1. أبو الحسن أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1997.
2. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2002.
3. عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001.
4. عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2009.
5. صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة/ الكويت/ الجزائر، د.ط، د.ت.

6. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلأغبين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د.ط، 1994.
 7. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983.
 8. أبو محمد عبد الملك بن هشام المعفري، السيرة النبوية، تح: لجنة تحقيق التراث بمؤسسة الهدى، دار التقوى للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 2004.
 9. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2002.
 10. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2003.
 11. أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 1987.
- الكتب المترجمة:**
1. آن روبول وباك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، المنظمة العربية للترجمة نشر دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط1، 2003.
 2. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 1991.
 3. جون سورل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2011.
 4. جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1992.

5. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ط، 1987.

6. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سوريا، ط1، 2007.

5. الهوامش والإحالات

¹ - أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 1987، ص164.

² - أبو الحسن أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1997، ص133.

³ - عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ص13.

⁴ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 2002، ص108.

⁵ - السكاكي، مفتاح العلوم، ص 164.

⁶ - المرجع نفسه، ص165.

⁷ - عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص14.

⁸ - القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص108.

⁹ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ط1، 2009، ص71.

¹⁰ - ينظر المرجع نفسه، ص71-73.

¹¹ - عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص13.

- 12- ينظر عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص74، وينظر عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص13.
- 13- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص118.
- 14- طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د.ط، 1994، ص105.
- 15- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص108.
- 16- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص74.
- 17- أبو محمد عبد الملك بن هشام المعفري، السيرة النبوية، تح: لجنة تحقيق التراث بمؤسسة الهدى، دار النقوى للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ط1، 2004، 196/3.
- 18- المرجع نفسه، 196/3.
- 19- المرجع نفسه، 197/3.
- 20- صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة/ الكويت/ الجزائر، د.ط، د.ت، ص292.
- * ومثله كل تلفظ يعلن به المرء خروجه من هذا الدين (ردّة)، فحكمه هو نقيض حكم الدخول في الإسلام، وكلاهما (الدخول في الإسلام والردة عنه) عقد ديني، أساسه النية القلبية وترجمانه ما يتلفظ به المرء، وتتشأ عن هذا التلفظ أحكام تخص التعاملات الاجتماعية مع صاحب العقد.
- 21- ينظر جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر: عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د.ط، 1991، ص19.
- 22- المرجع نفسه، ص17.
- 23- ينظر المرجع نفسه، ص13.
- 24- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، د.ط، 2002، ص97.

- 25- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سوريا، ط1، 2007، ص62.
- 26- أوستين، نظرية أفعال الكلام، ص173.
- 27- جيلالي دلائش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1992، ص25.
- 28- ينظر المرجع نفسه، ص25-27.
- 29- ينظر بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص60.
- 30- جون سورل، العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، تر: صلاح إسماعيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة- مصر، ط1، 2011، ص180.
- 31- المرجع نفسه، ص172.
- 32- ينظر آن رويول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد شيباني، المنظمة العربية للترجمة نشر دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط1، 2003، ص273.
- 33- سورل، العقل واللغة والمجتمع، ص183-185.
- 34- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ط، 1987، ص70.
- 35- المرجع نفسه، ص69.
- 36- المرجع نفسه، ص70-71.
- 37- ينظر فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص56-57.
- 38- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت - لبنان، ط1، 2003، ص74-75.
- 39- محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر، بيروت، ط2، 1983، 228/2، الحديث رقم 1195.